

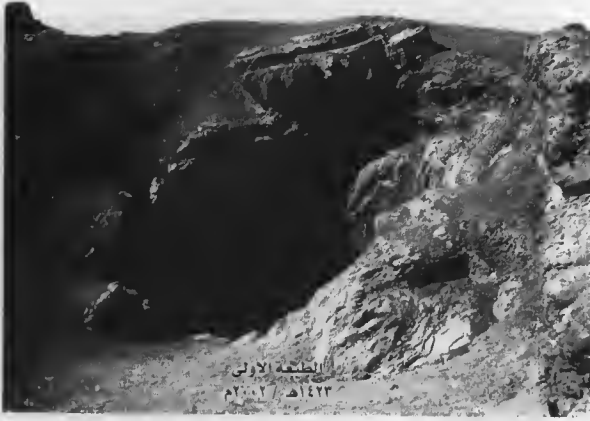
عرض الكتب



المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
وكالة الآثار والمتاحف

البَدْع

تاريخها وآثارها



اسم الكتاب : البدع تاريخها وآثارها.

المؤلفون : أ.د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري،

وأ.د. سعد بن عبد العزيز الراشد، وأ.

د. علي غبان، ود. عبد الله بن سعود

السعود، وأ. خالد أسكوبي، ود. مجيد

خان.

الناشر : وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف

المملكة العربية السعودية .

سنة النشر : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

ردمك : ٩٩٦٠ - ١٩ - ٦٥٦ - ٩

مقاس الكتاب : ١٧ × ٢٤ سم .

عدد الصفحات : ١٥٣ صفحة، باللغة العربية، و٨٦

صفحة باللغة الإنجليزية، ٧١

صورة، ٩ لوحات وخريطتان.

عرض : د. عواطف أديب سلامة.

وقدّم للكتاب أبرز مؤلفيه أ.د عبد الرحمن الطيب الأنصاري، بمقدمة علمية، أرسى فيها قواعد وحقائق ثابتة عن موقع المنطقة الجغرافي، وأهميته بين مراكز الحضارات القديمة، وقواها السياسية والاقتصادية، ونشاطات سكانها وشعوبها من بلاد فارس وبلاد الرافدين، إلى بلاد الشام ومصر وحوض البحر الأبيض المتوسط، مشيراً إلى النشاط التجاري لسكان بلاد العرب مع هذه الشعوب؛ بل وصل إلى شرق آسيا. ولتأكيد العمق التاريخي لشمالي غرب المملكة العربية السعودية، أشار إلى حضارات بلاد العرب القديمة، مثل: حضارة مدين وعاد وثمود وقيدار وأدوم ولحيان والأنباط.

كما أشار إلى قصة لجوء النبي موسى (عليه السلام) إلى أرض مدين، والتماس الدين، الذي حدث بين المناطق والشعوب القاطنة فيها. ثم تساءل عن اللغة التي كان يتحدثها، ورجّح أنها لغة أهل مدين، وهو استنتاج طبيعي، كما أكد العزم

يضطلع المؤرخون والدارسون لتاريخ الجزيرة العربية القديم، بأدوار مهمة تتمثل في استنباط تاريخ الجزيرة وكتابتها، وجمعه ونشره في مؤلفات، تسجل حضارة هذه المنطقة، التي لعبت دوراً حضارياً وتاريخياً متميزاً، خلال عصور ما قبل التاريخ، وفي فترات ما قبل الإسلام، ثم العصر الإسلامي المجيد، وإلى وقتنا الحاضر. وقد بدأنا نحظى بجهود علمية في هذا المضمار، منها "كتاب البدع تاريخها وآثارها".

وصدّر الكتاب بكلمة لمعالي وزير المعارف، أ.د. محمد بن أحمد الرشيد. وجاء في التصدير أخبار سارة عن سلسلة الكتب الأثرية المزمع إصدارها، لكتابة تاريخ المنطقة الحقيقي، بالإفادة من المادة الأثرية، والتأكيد على أصالة هذا التاريخ وعمقه.

على كتابة تاريخ المنطقة .

والملاحظ في تقديم الأستاذ الدكتور الأنصاري ذكره قصة لجوء النبي موسى (عليه السلام) إلى مدين، بعد أن سرد تفاصيل عن أرض سيناء، والمن والسلوى، و الـ ١٢ عيناً، وجبل الطور، والألواح، والعجل وقتل المصري، ثم الفرار إلى مدين والإقامة بها، كما جاء في القرآن الكريم. والواقع أن اللجوء، أو "الفرار"، وقع قبل أن يكلم الله كلمه موسى (عليه السلام)، أي قبل تكليفه بحمل الرسالة، وقبل توالي الأحداث الأخرى.

كما أكد الأنصاري على الأبعاد السياسية لفرار موسى إلى مدين، ما يدل إلى منعة المكان والسكان، والبعد عن طائلة النفوذ المصري. وتساءل عن وضع سيناء السياسي. والمعروف أن الامتداد أو الانتشار المدياني، وصل إلى سيناء، بدليل الشراكة المصرية مع قبائل المنطقة (مدين وعماليق - وبنو القين)، في أعمال التعدين في مناجم سيناء، لاستخراج النحاس والفيروز، في القرنين ١٤، ١٢ ق.م.

ثم أثار الدكتور سؤالاً عن لغة موسى (عليه السلام)، وهل كانت لغة مديانية؟ كما تساءل عن لغة ألواح موسى؟ ويرى الدكتور الأنصاري، بحدسه التاريخي، أن لغة العصر كانت "اللغة المديانية" (البحث ص ١٢). وهي نقطة تسجل له.

منطقة البدع موقعها وجغرافيتها:

تقع منطقة البدع ما بين خطي طول ٣٠° - ٣٤° و ٣٠° - ٣٥° شمالاً، وخطي عرض ٢٨°، ٢٩° شرقاً، شمالي غرب الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية). وهي منطقة جبلية؛ فهي جزء من منطقة الدرع العربي، وتسمى هذه الجبال باسم "جبال مدين"، وصخورها جرانيتية بركانية. وتشكل امتداداً لسلسلة جبال السروات، وأشهر جبالها: جبل اللوز، وجبل دباغ، وجبل ددغ، وتشققها الأدوية، التي منها: وادي عفال، وادي الأبيض ووادي عينونة. وهي جزء من هضبة حسمى. والجزء الغربي للبدع سهل ساحلي، مطل على خليج العقبة.

وتتمتاز منطقة حسمى بتدني نسبة مياه الأمطار، وشح المياه الجوفية، بسبب ارتفاع نسبة المعادن. وينمو بها نبات القتام. وتقع واحة البدع في بطن وادي عفال، واشتهرت

باسم "مدين"، وهي من مدن قوافل الطريق التجارية. وقد نمت وازدهرت في عهد مملكة الأنباط (١٠٠-١٠٦ م)، نظراً لازدهار تجارة الأنباط وظهور البتراء. وعندما انتقل النشاط التجاري إلى "بصرى"، أدى ذلك إلى تأثير سلبي على البدع وموانئ المنطقة، مثل: أيلة، ومقنا، ولوكي كومة عينونة) فظهرت مدن قوافل أخرى، مثل: تيماء، وتبوك. وعادت البدع إلى النشاط التجاري في العصر الإسلامي، إذ كان طريق الحج يمر بها.

وكان من الجدير بالمؤلفين أن يوفروا مزيداً من الخرائط (موجود خريطتان فقط)، لاستيعاب بعض المواقع غير المذكورة في الخريطين.

الفصل الأول: الدراسات السابقة

أولاً: البدع في المصادر الإسلامية:

أشار المؤلفون إلى كتابات الرحالة و الجغرافيين المسلمين، ومنهم: اليعقوبي (ت / ٢٨٤هـ / ٨٩٧ م) وابن حوقل (٢٢٠هـ) والمقدسي (ت: ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م) والبكري (ق ٥٥هـ / ١١م) والإدريسي (ت: ٥٦٠هـ / ١١٦٦م) والحموي (ت: ٦٢٧هـ / ١٢٢٠م) والأندلسي (٧٨٤هـ / ١٢٨٢م). البلوي (٧٨٧هـ / ١٣٨٥م) وابن الجيعان (٨٨٤م / ١٥٦٩م) الحجري (ق ٩هـ). والجزيري (٩٧٧هـ / ١٥٦٩م) والعياشي (١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م) وعبد السلام الدرعي (١١٦٩هـ / ١٧٨١م).

وأجمع هؤلاء الكتاب على ذكر المنطقة باسم "مدين"، ثم وصفوها مع ذكر النبي شعيب وبناته ودرب الحج.

ثانياً: البدع في مؤلفات الرحالة الغربيين:

توافد بعض الرحالة الغربيين، في أوائل القرن التاسع عشر وإلى القرن العشرين الميلادي، وزاروا منطقة مدين، وكتبوا عنها، ومنهم:

١. ريتشارد بيرتون (Richard Burton): زارها سنة ١٨٧٧م للبحث عن الذهب، وأصدر مؤلف "مناجم الذهب في مدين" (The Gold Mines of Midian)، وفي كتابه وصف مدين وتحدث عنها.
٢. ألويس موزيل (Alois Musil): زار شمال الحجاز وكتب

وقد وجدوا قطعاً أثرية عبارة عن مجموعة أدوات حجرية، منها: مكاشط، وشفرات، ومدى، ثم رؤوس سهام، وقطع فخارية، إضافة إلى مقابر قديمة، ونقوش ثمودية، ورسومات صخرية.

ثانياً: مواقع العصور التاريخية:

أ- البدع: تشتمل واحة البدع على مواقع أثرية كثيرة، هي: موقع المقابر (مقابر البدع)، والتلال القريبة من المقابر، والمدينة النبطية (المالحة)، والرديدة أو (متنة الرديدة)، وبئر السعيدني، والبرج المدينة الإسلامية (الملقطة)، ومغائر الكفار، والديسة، وآبار البدع. وأبرز آثارها أربع مجموعات مقابر عددها حوالي ١٦ مقبرة، وعدد من اللحد، وكسر الفخار المدياني والنبطي والفيومي، إضافة إلى مسارج وأواني طبخ، وشاهد قبر إسلامي، وكتابة كوفية.

ذكر مؤلفو الكتاب تعاصر مدين وأدوم (أيدوم، يدوم)، وتشابه اسم "اليدوميون" أو "الادوميون" مع "الجداميون"، وانحدار جذام من مدين. وذكروا قبائل المنطقة في الوقت الحاضر (بنو عقبة وبنو عطية والحويطات)، وأكدوا انحدارهم من جذام.

ب. مقنا: تقع قرب مدخل خليج العقبة، وكانت مأهولة بالسكان في فترة صدر الإسلام، ومن آثارها: أوان زجاجية وفخار روماني.

ج. طيب اسم: يقع قرب مقنا، ويشتمل على بقايا معمارية وكسر فخارية، مشابهة لفخار تيماء الزهري، ويحمل تأثيرات هلينستية.

د. موقع عينونة والخريبة: من المستوطنات القديمة، وآثارها نبطية وإسلامية. ومن أهم المواقع فيها: القبة بوادي عينونة، ومسبوق/ بوادي عينونة، وجبل صفراء عينونة الشمالي، وكذلك جبل صفراء الجنوبي، وجبل عريق الكفرة بوادي عينونة، وبئر درويش بالخريبة، وتنتشر في المنطقة بقايا معمارية وقنوات مائية ومواد أثرية.

هـ. مواقع شرمه: وهي إسلامية قديمة ذكرها الجغرافيون المسلمون باسم (الصلا) أو (المصلى)، وكانت منزلاً على طريق

مؤلفه "شمال الحجاز" (The Northern Hejaz) عام ١٩٢٦م، ويبيّن أنه من المحتمل أن تكون البدع هي مدين.

٣. الرحالة عبد الله فليبي (H. ST. John Philby) زار شمالي غرب المملكة عام ١٩٥٣، وكتب مؤلفه أرض مدين (The land of Midian)، الذي صدر سنة ١٩٥٧.

ثالثاً: البدع في مؤلفات الكتاب المعاصرين:

كتب عنها الدكتور جواد علي، والشيخ حمد الجاسر. والأستاذ حمود بن ضاوي القشامي، الذي زارها مع بوغو، صديق فليبي، وأشار إلى أنها "مملكة مدين". وقدّر فترة ظهور الأضرحة النبطية. وكتب عنها الدكتور مسعد بن عيد العطوي سنة ١٩٩٣م في كتابه: (تبوك قديماً وحديثاً)، كما ذكرها الأستاذ أحمد بن حسين شرف الدين سنة ١٩٨٤م في كتابه: (المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية). وكذلك الدكتورة هتون الفاسي، في كتابها: (الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية) سنة ١٩٩٣ م.

رابعاً: الدراسات الميدانية الحديثة في منطقة البدع:

مسحت الإدارة العامة للآثار والمتاحف، أثناء برنامج المسح الآثاري، المنطقة في الموسم الخامس عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، الذي شمل المنطقة كلها تقريباً، خاصة منطقة مدين وحسمى.

الفصل الثاني: المواقع الأثرية في منطقة البدع

تناول المؤلفون أهم المواقع الأثرية في البدع على اختلافها.

أولاً: مواقع العصور الحجرية:

يعود تاريخها إلى العصر الحجري القديم والوسيط والحديث، من حوالي ٨٠,٠٠٠ - ٤٠,٠٠٠ ق.م. أما البدع، بالذات، فتاريخها يبدأ من العصر الحجري الحديث، وتتمثل آثارها في منطقة جبل اللوز، وأهم المواقع هي: مصير الخراج، وشعيب نخلة، وعريق اليسرى الجش (مصيون)، وجبل حيفا، وأبا البيبان.

صخرية كثيرة في مواقع عدة، في كل أنحاء المملكة، ومنها البدع كغيرها من المناطق. وتعود رسوم البدع إلى فترتين:

- ١ . رسوم ملونة، تؤرخ في الفترة ٤٥٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م.
- ٢ . رسوم محفورة، وتؤرخ في الفترة ٣٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م.

و تشمل موضوعات الرسوم الأشكال الآدمية وأجزاء منها، مثل: طبعات الأيدي والأرجل، والأشكال الحيوانية، مثل: الجمال والنعام والأسود والوعول والأبقار، مع وجود زخارف هندسية، واختلاف شكل القرون. وقد استنتجوا من هذه الرسوم بعض الطقوس الدينية، وتقديس البقر. وتتشابه هذه الرسومات مع رسومات الأبقار في كتال هيوك في تركيا، وكذلك رسومات جمال. كما وجدت النقوش (كتابات ثمودية، أو بدوية، وأخرى نبطية وإغريقية وكوفية) أحيانا مع الرسوم الصخرية، إذ عُثر عليها في البدع في مناطق: جبل اللوز، وممر البطينة، وقاع بني مر.

ثانياً: الكتابات والنقوش القديمة:

تنتشر الكتابات القديمة في المنطقة- وهي نصوص قصيرة مكتوبة بالخط المسند الجنوبي والشمالي، وبالخط الثمودي، وبالخط الآرامي والنبطي- في عدة مواقع، منها: علقان، وحسمى، وأريط، ومقابر شعيب، ووادي حجية (نصلة الجرة)، وجبل خوي رشود. ويقدم الكتاب قراءة لبعض هذه النصوص.

ثالثاً: الكتابات الإسلامية:

عُثر في البدع على مجموعة من الكتابات الإسلامية، نظراً لمرور طريق التجارة والحج بها. وجمع الكتاب حوالي ستين نقشاً من مواقع مختلفة، منها: ثميلة بجدة، وطوى الحمد، والقارة الحمراء (قاع بني مر). والنصوص واضحة ومتنوعة، بعضها ذات سطرين، وبعضها يصل عدد أسطرها إلى ستة، وهي مكتوبة بطريقة النقر الخفيف. كذلك بعض أحرفها منقوطة، وبعضها مؤرخ، وجميعها ذات صبغة دينية، يطلب أصحابها المغفرة والرحمة. وتعود النصوص إلى فترة القرنين الأول والثاني الهجريين، مع الإفادة من أسماء الأعلام للتعرف على أسرهم وقبائلهم. ولكن الكتاب لم يحوِ لوحات لأصول نصوص

الحج المصري. ومن أهم مواقعها: تلة عين شرمه، جبل أصفر أنقيرة بوادي شرمه، والمزيرع بوادي شرمه، أم حواويط بوادي غر سيل، أم سريبيطات بوادي أرنب. وأهم ما عُثر عليه كسر من الفخار (مدياني ونبطي وإسلامي)، وبقايا معمارية لأبنية وسور من الحجارة.

ويلاحظ في الكتاب بعض الأخطاء الطفيفة، مطبعية ولغوية، لا داعي للتوقف عندها وإنما ننوه بمثل ما ورد عند الحديث عن الشيخ المدياني، أنه (شيخ مؤمن من أهل مدين تسميه جثرو لا علاقة له بشعيب الوارد ذكره في القرآن الكريم) (البحث ص ٤٠). وقصة "شيخ مدين، الذي اتصل به موسى (عليه السلام) وهل هو شعيب أم لا، تثير إشكالية تاريخية لا تنتهي بجرة قلم، بل تحتاج إلى مزيد من الدراسة التاريخية نظراً لثباتها في الموروث والمصادر الإسلامية. أما اسم "جثرو"، كما ذكره البحث، يكتب (Jethro)، ولكن لفظه وتعريبه في نصوص التوراة يكتب بصورة "يثر" باعتبار أن حرف (J) يلفظ في اللغة العبرية (ي)، على غرار اسم يوسف (Joseph).

تحتاج مقابر شعيب، أو المقابر النبطية، أو مقابر البدع، كما سماها الباحثون (البحث ص ٣٤) إلى دراسة آثارية تاريخية، تعتمد على وسائل التحليل والكشف الآثاري الدقيق، ومقارنتها مع مقابر مدائن صالح والبتراء، حتى نتمكن من التأريخ لها بدقة. فقد زرت المنطقة عام ١٤١٤هـ، ولاحظت أن مقابر شعيب أقل تقنية واتقاناً من مثيلاتها في مدائن صالح والبتراء، اللتين اتصفتا بدقة العمل وتطوره؛ فمقابر شعيب أكثر تطوراً واتقاناً في الزخارف. أما إن كانت معاصرة لهما، فلماذا أثرت عوامل التعرية على مقابر شعيب فقط، ولم تؤثر على الآخرين؟ حتى مع كون صخورها رملية، فلا أظن أن ذلك هو السبب هو الفارق أو المؤثر الوحيد، بل أضيف إليه طول الفترة الزمنية وبعدها التاريخي أيضاً؛ إذ ربما كانت مقابر شعيب أقدم، ما يجعل تحديد تاريخها مسألة ما تزال مطروحة للبحث والدراسة.

الفصل الثالث: الرسوم الصخرية والنقوش والكتابات

أولاً: الرسوم الصخرية:

عندما مسحت وكالة الآثار المنطقة، عثرت على رسوم

البقار، ووادي العصافير بمنطقة تبوك، وكذلك في موقع بالخماسين وتثليث وجبال كوكب والطائف، ثم في جبه بحائل، وموقع الحناكية، شرقي المدينة المنورة.

وينتمي الموقع السكني ومحجر قطع الرخام، إلى فترة الأنباط، والدليل على ذلك وجود الفخار النبطي. وتوقع نقل أعمدة الرخام إلى البتراء، عاصمة الأنباط، أو قرية، وغيرها.

رابعاً: محجر قطع الرخام بجبل اللوز:

الأول: طريق (أبا العجل): توجد بقايا طريق مرصوف يبلغ عرضه بين ٣ - ٣,٥ م، أوصل الفريق إلى محجرين، أحدهما: يقع في شعيب الوادي، وتنتشر فيه كتل صخرية مصمتة ذات لون أبيض، وأخرى تحيط بها كتل ذات لون اسود. كما توجد أعمدة رخامية أسطوانية (قطرها ٦٠ سم)، وهناك غرفة (٥ × ٥ م) للراحة وحفظ معدات العمل و أدواته.

الآخر: محجر في أعلى الجبل على ارتفاع حوالي ٢٥٠٠م، صخوره بيضاء رخامية مشابهة لسابقتها في المحجر الأول.

وقد استخلص الفريق استنتاجات، منها: الأولى: أن طريق البغال أو (أبا العجل) يبرهن على استخدامات مختلفة، لنقل الأحجار الرخامية؛ والثانية، تشابه الأسطوانات الحجرية الرخامية الموجودة في المحجر العلوي، مع الأخرى السفلية في موقع السكن، يثبت قطعها من المحجر، ثم نقلها إلى الأسفل؛ والثالثة، أن المحجر هُجر ولم يستخدم، بدليل وجود الأحجار الرخامية.

خامساً: مصيون (الجش):

يقع إلى الغرب من مدينة تبوك على بعد ١٩٠ كم، على الحافة الغربية لوادي الأبيض عند سفوح السلسلة الشرقية لجبل اللوز. ويحتوى الموقع على أدوات حجرية (حوالي ٥٠ أداة) صغيرة الحجم، متنوعة الأشكال والوظائف، ثم عدد ٧٦ أداة غير مكتملة الصنع. وقد تأكلت بعض الأدوات، بسبب كثرة الاستعمال أو بالتعرية الجوية، وهي مصنوعة - بطريقة الطرق الخفيف- من صخور الجرانيت، والكوارتز، والشرت والصوان،

النقوش والكتابات المشار إليها، واكتفى الباحثون بنشر قراءة للنصوص فقط! وكان من المناسب لو فعلوا ذلك لتكتمل الفائدة.

الفصل الرابع: الأعمال الحقلية في منطقة جبل اللوز وما حوله:

أولاً: حضيرية موقع "أبا العجل"، في منطقة جبل اللوز:

أحاطت وكالة الآثار المواقع الأثرية بشبك حديدي لحمايتها، ومنها هذا الموقع، عند سفح جبل اللوز. أجرى الفريق عملية التنقيب حسب خطة العمل، فكشفوا عن وجود مبنى معماري مقسم إلى أربع غرف، مع وجود كمية من الرماد، والمواد العضوية. فأتضح أن المبنى استعمل للسكن، وزرائب للحيوانات، وأن هنالك بقايا أحجار رخامية من محجر الرخام السفلي، وهي معدة للنقل. ثم عثروا على كمية من كسر فخارية، مؤلفة من قواعد وحواف وأبدان من فخار متنوع، صنّف إلى سبعة أنماط؛ ولكنه مصنوع بطريقة الدولااب. وتعود الأنماط الفخارية إلى عصر الأنباط (من القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الأول الميلادي).

ثانياً: أعمال التنقيب في أنصاف الدوائر الحجرية بموقع "أبا العجل":

كانت الدوائر الحجرية عبارة عن صفين من الأحجار المرصوصة بشكل مستطيل. وقد ملئ الفراغ بين هذين الصفين بحجارة صغيرة متناثرة، وبأحجام مختلفة (دبش). والدوائر من حيث الحجم نوعان: كبيرة، وصغيرة. وهي منشآت حجرية مبنية من أحجار جرانيتية، وتخلو من أي مادة أثرية أو عضوية، لذلك كان من الصعب تأريخ فترتها.

ثالثاً: تحليل الرسوم الصخرية ودراساتها:

١. مثّلت الرسوم عدة فترات ثقافية، ولا توجد علاقة تربطها بالرسوم الملونة. كما لا توجد علاقة بين الرسوم، بنوعها المحفورة والملونة، وبين موقع السكن والمحجر. وفترات الرسوم المحفورة هي (٤٥٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م) و (٣٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م).

تتشابه رسوم جبل اللوز مع نظائرها في وادي ضم ووادي

النهر.

٧. احتمال أن هذا الموقع شهد استقرار بشري دائم، حتى أوائل

العصر الحجري الحديث.

ويلاحظ قارئ الكتاب بعض التكرار في المعلومات الواردة، واختلافاً في الاسماء (مثال: البحث ص ص ٣٢، ٦٧، ٧٧). وهناك عدم دقة في إطلاق مسميات الأدوات الحجرية بين النصين العربي والإنجليزي؛ كما أن تسميات المواقع تفتقد إلى الدقة والثبات بين النص والخريطة. (البحث ص ٣٢). كما أن مواقع الرسوم الصخرية يعود تاريخ بعضها إلى ٢٠,٠٠٠ سنة (البحث ص ٨٥). بينما الرسومات المذكورة في الكتاب فأقدمها يعود إلى ١٠,٠٠٠ سنة (البحث ص ٨٦). أما أشكال الأبقار في جبل اللوز، فذكر الباحثون أنها متزامنة مع الفترة النبطية والرسوم الملونة، فهي تعود إلى ٧٥٠٠ - ٦٥٠٠ ق.م (البحث ص ص ٩٢، ٩٣)، وسابقاً تم تاريخها بفترتين (٤٥٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م) و (٣٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م) (البحث ص ٥٤). كما نلاحظ اختلافاً في كتابة التوثيق مثلاً (البحث ص ص ٨٩، ٩١) الأدوات الحجرية: ورد اسم الأداة باللغة العربية ويقابله الاسم باللغة الإنجليزية مرتين فقط (البحث ص ص ٧٨، ٧٩).

النتائج

خُتم المسح الأثري بنتائج مهمة هي:

١. ظهور حضارات المنطقة (جبل اللوز) منذ فجر التاريخ، مع استمرارها إلى العصور الإسلامية، إضافة إلى اتصالها بحضارات مناطق أخرى، مثل: قرية وتيماء وحائل ودومة الجندل وسكاكا.
٢. تحديد فترة بدء تاريخ استيطان المنطقة منذ ٢٠,٠٠٠ سنة.

٣. كانت أودية منطقة جبل اللوز، مثل وادي الأبيض، مسرحاً للرعي والتجوال. وتتوافر فيها أيضاً معادن ومواد بناء، مثل الرخام. وقد ازدهرت المنطقة في الفترة النبطية. وقدمت الرسوم الصخرية مناظر الصيد بحيواناتها، منها: الوعول والأبقار والماعز والذئاب. وهي مصادر جيدة

والابسيديان، وعليها طبقة من غشاء العتق (Patina)، وتصنيفها كالتالي:

- ١- مناقيش صغيرة (Burins) وأخرى صغيرة جداً (Micro burins)؛ ٢- المديبات؛ ٣- المثاقب؛ ٤- السكاكين؛ منها المشحودة ذات الشكل البيضاوي، وبعضها مسنن؛ ٥- أدواتان على شكل الكتف؛ ٦- أدوات ثلث عميق مشحودة ومكشط مسنن؛ ٧- المسننات؛ ٨- المكاشط (Scrapers)؛ ٩- السهام؛ ١٠- أدوات ورقية الشكل؛ ١١- أداة على شكل لسان (نصل)؛ ١٢- الأشكال المقتطعة من النويات الحجرية.

المقارنات والاستنتاجات لموقع مصيون (الجش).

١. يعود تشابه المناقيش الصغيرة والصغيرة جداً، إلى عامل بيئي.

٢. تتماثل معظم هذه الأدوات الحجرية مع أدوات الصناعات القيعية في شمالي غرب أفريقيا، والمعروفة باسم: الأدوات القزمية من الصّوان. وتعود إلى فترة العصر الحجري القديم الأعلى حتى العصر الحجري الحديث. كما تعود المديبات إلى الفترة الزمنية نفسها، في شرقي البحر المتوسط، وجنوبي الأردن.

٣. تتماثل الأنصال الصغيرة والرقائق والمكاشط في مصيون الجش، مع نظائرها في وادي تليلث، وسدوس. وتنتمي إلى فترة العصر الحجري القديم الأعلى حتى العصر الحجري الحديث.

٤. ندرة رؤوس السهام المصقولة والأدوات الورقية الشكل والمكاشط، وغياب أدوات الطحن الحجري (الرحى) والفخار.

٥. وجود طبقة من غشاء العتق، على بعض الأدوات الحجرية.

٦. لا يفترض خلو شبه الجزيرة العربية من السكان في الفترة ٢٢٠٠٠ - ١٠,٠٠٠ ق.م مع هطول أمطار غزيرة، وامتدت الرطوبة النسبية من أواخر الحقبة الانتقالية ما بين العصر الحجري القديم الأعلى، إلى نهاية العصر الحجري الحديث، بدليل العثور على بقايا حيوانية، كالأبقار وفرس

تلخيصاً للمسوحات الأثرية، التي رصدت آلاف الرسومات الصخرية في حوالي ٣١١ موقعاً. و تصور الأشكال الآدمية والحيوانية أبقاراً مستأنسة، وجمالاً غير مستأنسة، وأنها حيوانات البيئة، مع نفي وجود التأثير الحضاري المصري. وكذلك إثبات أن " مقابر شعيب " مقابر نبطية، على غرار المقابر النبطية المنحوتة في البتراء ومدائن صالح.

وتبين أن الدوائر الحجرية تتوافر في أكثر من ستين موقعاً، إضافة إلى مدافن ركامية ورجوم دائرية، ومنشآت حجرية، ولكن يندر وجود مواد أثرية؛ لذا صعب تحديد تاريخ الفترة. وأشارت الدلائل الأثرية إلى محدودية الاستقرار في منطقة البدع، وأن التمرکز السكاني لمدين كان في موقع قرية، في فترة القرنين ١٢ - ١٣ ق.م؛ لكن تاريخها يعود إلى الألف الثاني ق.م. أما النقوش والكتابات، فهي تعود إلى الفترة الثمودية واللحيانية والنبطية والفترة الإسلامية المبكرة.

وجاء في هذه الخاتمة نفي علاقة النبي موسى (عليه السلام)، بالبدع نفياً قاطعاً، وأن كل ما تناقله الكتاب السابقون يدخل في عداد القصص والأساطير (البحث ص ١٧)، والأجدر أن تحدد البدع بأنها إحدى مدن منطقة مدين، أو إنها مدينة مدين، وبعيدة عن منطقة الحدث التوراتي.

تعد منطقة البدع بآثارها امتداداً لحضارات الجزيرة العربية القديمة. وقد حددت فترات الرسوم الصخرية، الموجودة في البدع وجبل اللوز وحسمى إلى العصر الحجري الحديث ٦٥٠٠ - ٥٥٠٠ ق.م، والفترة النبطية (٢٠٠ ق.م - ١٠٠ م)، بناء على أسلوب رسم الأبقار المشابه لما وجد في تبوك، وجبة في منطقة حائل، وفي الحناكية في منطقة المدينة المنورة. أما الثيران، فتشابه المرسوم في وادي ضم، ووادي البقار، ووادي العصافير، في منطقة تبوك. واستدل الباحثون من تنوع أشكال القرون المرسومة، على أن الرسامين كانوا ينتمون إلى مجموعات بشرية، ذات ثقافات مختلفة.

ومن الجدير ذكره أن المؤلفين أوردوا ملاحظة أخيرة حول صدور كتابين، بعد فراغهم من كتابة البحث، وبيّنوا أن الكتابين لا يصلحان كمصدرين للتاريخ، فمؤلف الكتاب الأول (لاري ويليامز) مسوق بضائع، وهو غير متخصص بالآثار ودخل

لتاريخ الشعوب، يضاف إليها كتابات تدخل المنطقة إلى العصر التاريخي.

٤ . استنتاج ملامح الفكر الديني، ومنها عبادة الشمس والقمر، وعبادة العجل المذكورة في القرآن الكريم. وكانت هذه العبادات سائدة في منطقة الشرق تقريبا.

٥ . تأريخ الرسوم الصخرية في جبل اللوز وحسمى بحقبة زمنية تمتد من ١١,٠٠٠ إلى ٤٥٠٠ ق.م.

وقد حدد الباحثون فترة الأنباط في أكثر من صفحة بين ١٠٠ ق.م - ١٠٠ م. (البحث ص ص ١١، ٣٦، ٧٣، ٩٢)، وهذه الفترة خاصة بوجود الأنباط في البدع، إذ يؤكد المؤلفون في مصادر البحث، ومنهم هتون الفاسي و إحسان عباس، أن الأنباط موجودون منذ القرن الرابع ق.م ومن المعروف أن "أنتيجو نوس" شن عليهم حربين: الأولى سنة ٣١٢ ق.م بقيادة ابنه اثايوس، والأخرى بقيادة ديمتريوس. ويؤرخ لأول ملك من ملوك الأنباط بحوالي سنة ١٦٩٠ أو ١٦٥٠ ق.م. أما "حتحور" (Hathor) الإلهة المصرية " سيدة الفيروز " (Lady of Turquoise) امرأة مليحة الوجه لها أذنا بقرة، وترمز للإلهة الام. وقد تصور على شكل بقرة ذات وجه بشري وأذني بقرة، وأحسب أن البقر المرسوم هنا في المنطقة من نوع بقر الوحش "الأيائل"، بدليل وجود القرون.

الخاتمة

انتهى الباحثون في هذه الخاتمة، إلى أن شمالي غرب المملكة العربية السعودية (الجزيرة العربية) كان مركزاً لحضارات وثقافات متنوعة، ما جعله يشهد استقرار بشرياً مختلفاً ومكثفاً، ونقطة جذب لقوى خارجية، من الشرق والغرب؛ وتأكيد أهمية المنطقة لكونها نقطة اتصال وربط، بين مناطق الجزيرة ومراكز الحضارات في وادي الرافدين، وبلاد الشام ومصر. وكل ذلك هياً للبدع دوراً استراتيجياً، إذ هي واحة على طرق تجارية برية وبحرية، ولأنها محطة للقوافل التجارية، ثم درباً للحجاج في العصر الإسلامي.

كذلك، قرر الباحثون عدم ربط منطقة البدع بالنبي موسى (عليه السلام)؛ لأن النتائج الأثرية لم تثبت ذلك، ثم قدموا

وهل هناك أفران لهذا الفخار ؟ كما نتساءل حول وجود تقنيات الري، كما في مدينة " قرية المديانية " مثلاً .

كنا نود أن نتعرّف على صانع التاريخ في هذه المنطقة، التي أورد الباحثون إشارة طفيفة عن سكان المنطقة في الوقت الحاضر، وامتداد جذورهم إلى جذام ومدين (البحث ص ٤٠).

وأشير إلى أن الجملة التي وردت في البحث، وهي: (يضاف إلى ذلك الملامح التراثية والدينية والفنية للإنسان (البحث ص ٨٥)، وأتساءل: هل هي ملامح تراثية أم ملامح تاريخية؟ كما يلاحظ عدم الاستفادة من معطيات المنطقة، من رسوم وأدوات وأوانٍ ونقوش لكتابة تاريخ أهل المنطقة، ومقارنتها مع ما جاء في كتاب (Rothenberg, B., Timna, 1972)، أو الرجوع إلى كتاب عواطف أديب سلامة: "أهل مدين: دراسة للخصائص والعلاقات ١٣٥٠-١١٠٠ ق.م، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. وهو رسالة دكتوراة غير منشورة، تتناول تاريخ هذه المنطقة بالتفصيل.

وأخيراً أؤكد إن العمل رائد، وإن كان بحاجة إلى مزيد من التدقيق والمراجعة، لما له من قيمة في مجاله.

المنطقة بصحبة ضابط بوليس، ولم يلتزم بأدبيات البحث العلمي؛ أما مؤلف الكتاب الثاني (بلوم) فهو صحفي ليس له صلة بعلم الآثار، وغير مطلع على تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها. والكتابان هما:

الكتاب الأول: Larry Williams, The Mountain of Moses / The Mount Sinai Myth , New York , 1995.

الكتاب الثاني: Howard Blum, The Gold of Exodus: The Discovery of The True Mount Sinai , New York, 1998.

وإذا كان كل بحث علمي جاد له قيمة وأهمية، تثبتان من إضافاته العلمية الجديدة، وإسهاماته في إلقاء الضوء على الجديد في مجال المعرفة، وتقديمها للبشرية؛ فالبحث الذي بين أيدينا يعد من ذلك النوع، بل امتاز بالكشف الأثري ونتائجه الجديدة في منطقة البدع، والكتابة عنها. ولكن لا بد من التعليق لإبداء بعض الملاحظات والتنويه عن بعض الهنات، ولاستجلاء التساؤلات، التي أثارها البحث. وذلك حق على كل عمل، مهما تم واكتمل.

أخيراً، نحتاج أن نعرف الكثير عن الفخار المدياني والنبطي، هل هو مصنوع محلياً أم مجلوب من منطقة أخرى؟

د.عواطف أديب سلامة - قسم التاريخ، جامعة الملك سعود. ص. ب ٧٢٠١ - الرياض ١١٤٦٢